تأملات في الثلاث تقديسات (2)

نظير القدوس الذي دعاكم كونوا أنتم أيضًا قديسين (1بط1: 15)[1]

ما دمنا قد خُلِقنا على صــورة الله ومثاله - والله قدوس - إذًا ينبغي أن نكون قديســين، وما دمنا جســد المســيح - وهو الرأس - لا بد أن نكون قديســين. وما دمنا أولادًا لله - والابن يشــبه أباه - فلابدَّ أن نشــبهه في القداسـة. وهكذا قال القديس يوحنا الرسـول: "كُلُّ مَنْ هُوَ مَوْلُودٌ مِنَ اللهِ لاَ يَفْعَـلُ خَطِيَّـةً... وَلاَ يَسْــتَطِيعُ أَنْ يُخْطِئَ لأَنَّـهُ مَوْلُودٌ مِنَ اللهِ"(1يو3:9). وقال أيضًــا: "نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَنْ وُلِدَ مِنَ اللهِ لاَ يُخْطِئُ، بَلِ الْمَوْلُودُ مِنَ اللهِ يَحْفَظُ نَفْسَهُ، وَالشِّرِّيرُ لا يَمَسُّهُ"(1يو5:18).

والرب نفسه يطلب أن نكون مثله، قديسين.

فيقول في ســفر اللاويين: "وَتَكُونُونَ لِي قِـدِّيسِــينَ لأَنِّي قُـدُّوسٌ أَنَـا الرَّبُّ"(لا20:26). ويقول أيضًــا: "تَتَقَدَّسُــونَ وَتَكُونُونَ قِدِّيسِــينَ، لأَنِّي أَنَا قُدُّوسٌ"(لا11:44). وقد أشار القديس بطرس إلى هذا، فقال: "لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: كُونُوا قِدِّيسِينَ لأَنِّي أَنَا قُدُّوسٌ"(1بط1:16).

الله يريدنا أن نكون قديسين، لكي نكون معه.

لأن الكتاب يقول: "وَالْقَدَاسَــةَ الَّتِي بِدُونِهَا لَنْ يَرَى أَحَدٌ الرَّبَّ"(عب12:14)، وبغير القداسة لن نكون معه في أورشليم السمائية التي قيل عنها إنها: "لَنْ يَدْخُلَهَا شَيْءٌ دَنِسٌ وَلاَ مَا يَصْنَعُ رَجِسًا"(رؤ21:27).

وبالقداسة نكون أيضًا في عشرة الملائكة، الذين وُصِفوا بأنهم الملائكة القديســون إذ قيل: "وَمَتَى جَاءَ ابْنُ الإنســان فِي مَجْدِهِ وَجَمِيعُ الْمَلاَئِكَةِ الْقِدِّيسِينَ مَعَهُ"(مت25:31)، (مر8:38)، (لو9:26). فبغير القداسة لا يمكن

---

[1] مقال لقداسة البابا شنوده الثالث نشر في جريدة وطني بتاريخ 7-10-2007م

أن نشترك مع هؤلاء القديسين سواء من الملائكة أو من أرواح البشر القديسين، كما قيل أيضًا عن مجيء الرب: "هُوَذَا قَدْ جَاءَ الرَّبُّ فِي رَبَوَاتِ قِدِّيسِيهِ"(يه1:14).

كان المؤمنون في الكنيسة الأولى أيام الرسل، يدعون قديسين.

فالكنيسة هي جماعة من القديسين. فالقديس بولس يكتب إلى أهل رومية قائلًا: "إِلَى جَمِيعِ الْمَوْجُودِينَ فِي رُومِيَةَ، أَحِبَّاءَ اللهِ، مَدْعُوِّينَ قِدِّيسِينَ"(رو1:7). ويكتب إلى العبرانيين فيقول: "مِنْ ثَمَّ أَيُّهَا الإِخْوَةُ الْقِدِّيسُونَ، شُرَكَاءُ الدَّعْوَةِ السَّمَاوِيَّةِ"(عب3:1). ويقول في عبارة تُعمِّق هذا المعنى، فيقول: "سَلِّمُوا عَلَى كُلِّ قِدِّيسٍ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ"(في4:21). "يُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ جَمِيعُ الْقِدِّيسِينَ وَلاَ سِيَّمَا الَّذِينَ مِنْ بَيْتِ قَيْصَرَ"(في4:22).

ويقول القديس بطرس الرسول عن كتب الوحي الإلهي إنه: "تَكَلَّمَ أُنَاسُ اللهِ الْقِدِّيسُونَ مَسُوقِينَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ"(2بط1:21). وفي التسبحة التي سجَّلها القديس يوحنا الرسول في سفر الرؤيا، تترنَّم القوات السمائية قائلة للرب الإله: "عَادِلَةٌ وَحَقٌّ هِيَ طُرُقُكَ يَا مَلِكَ الْقِدِّيسِينَ!"(رؤ15:3).

حقًّا إنه مَلَك على هؤلاء القديسين الذين مَلَّكوه على قلوبهم، هؤلاء الذين نفذوا إرادة الله في حياتهم. وماذا كانت إرادته سوى قول الكتاب: "هذِهِ هِيَ إِرَادَةُ اللهِ: قَدَاسَتُكُمْ"(1تس4: 3).

هؤلاء الذين يتمجَّد الله في حياتهم. ويرى الناس أعمالهم الصالحة، فيمجدون أباهم الذي في السموات (مت5:16). وكما يقول الرسول عن الله إنه: "يَتَمَجَّدَ فِي قِدِّيسِيهِ"(2تس1:10). وهكذا ينصح المؤمنين قائلًا: "فَمَجِّدُوا اللهَ فِي أَجْسَادِكُمْ وَفِي أَرْوَاحِكُمُ الَّتِي هِيَ للهِ"(1كو6:20).

إذًا حينما نحيا في القداسة، إنما نمجد الله بحياتنا. أما حينما نحيا في الخطية، فإننا لا نستحق أن نستمر في عضوية رعيته. وفي الكنيسة الأولى كانوا يعزلون الخطاة عنهم، خارج مجمع المؤمنين Excommunication كما أمر الرسول قائلًا: "اعْزِلُوا الْخَبِيثَ مِنْ

بَيْنِكُمْ"(1كو13:5). "أَيَّةُ خِلْطَةٍ لِلْبِرِّ وَالإِثْمِ؟ وَأَيَّةُ شَرِكَةٍ لِلنُّورِ مَعَ الظُّلْمَةِ؟"(2كو14:6).

وفي الحياة الأبدية يُطرَح أولئك الخطاة "فِي الظُّلْمَةِ الْخَارِجِيَّةِ"(مت30:25) خارج المدينة المنيرة، أورشليم السمائية التي "وَلَنْ يَدْخُلَهَا شَيْءٌ دَنِسٌ"(رؤ27:21).

القديس بولس الرسول كان يدعو المؤمنين قديسين، في رسائله.

فقد بدأ رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس بقوله: "... إِلَى كَنِيسَةِ اللهِ الَّتِي فِي كُورِنْثُوسَ، الْمُقَدَّسِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، الْمَدْعُوِّينَ قِدِّيسِينَ مَعَ جَمِيعِ الَّذِينَ يَدْعُونَ بِاسْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ فِي كُلِّ مَكَانٍ، لَهُمْ وَلَنَا"(1كو2:1).

وفي بدء رسالته الثانية إلى كورنثوس الثانية يقول: "... إِلَى كَنِيسَةِ اللهِ الَّتِي فِي كُورِنْثُوسَ، مَعَ الْقِدِّيسِينَ أَجْمَعِينَ الَّذِينَ فِي جَمِيعِ أَخَائِيَةَ"(2كو1:1).

وفي بدء رسالته إلى أفسس يقول: "إِلَى الْقِدِّيسِينَ الَّذِينَ فِي أَفَسُسَ، وَالْمُؤْمِنِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ"(أف1:1). وفي بدء الرسالة إلى فيلبي يقول: "إِلَى جَمِيعِ الْقِدِّيسِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، الَّذِينَ فِي فِيلِبِّي، مَعَ أَسَاقِفَةٍ وَشَمَامِسَةَ"(في1:1).

وفي بدء رسالته إلى كولوسي يقول: "... إِلَى الْقِدِّيسِينَ فِي كُولُوسِي، وَالإِخْوَةِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْمَسِيحِ"(كو2:1).

وفي الرسالة الأولى إلى تيموثاوس، يتكلم عن صفات الأرملة التي تكتتب في الكنيسة فيقول، تكون "مَشْهُودًا لَهَا... أَضَافَتِ الْغُرَبَاءَ، غَسَّلَتْ أَرْجُلَ الْقِدِّيسِينَ"(1تي10:5) وفي الرسالة إلى تيطس، يقول عن العجائز إنه يجب عليهن أن يكنَّ "فِي سِيرَةٍ تَلِيقُ بِالْقَدَاسَةِ"(تي3:2). ويقول للمؤمنين جميعًا: "فَإِذْ لَنَا هذِهِ الْمَوَاعِيدُ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ لِنُطَهِّرْ ذَوَاتِنَا مِنْ كُلِّ دَنَسِ الْجَسَدِ وَالرُّوحِ، مُكَمِّلِينَ الْقَدَاسَةَ فِي خَوْفِ اللهِ"(2كو1:7).

وهناك أسباب عديدة لاعتبار المؤمنين قديسين.

لأنهم تبرَّروا بالإيمان في المعمودية، حيث صُـلِب إنســانهم العتيق، ووُلِدوا من الماء والروح (رو6: 4 - 6)، (يو3:5). وفي المعمودية قد لبســوا المسيح (غلا3:27)؛ أي لبسوا برَّه وقداسته "بِغُسْلِ الْمِيلاَدِ الثَّانِي وَتَجْدِيدِ الرُّوحِ الْقُدُسِ"(تي3:5).

وفي ســر المســحة المقدســة، قد مســحوا بالروح القدس فصــاروا قديسين وفي مواهب العهد الجديد يقول لهم الكتاب: "لكِنِ اغْتَسَلْتُمْ، بَلْ تَقَدَّسْتُمْ، بَلْ تَبَرَّرْتُمْ بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ وَبِرُوحِ إِلهِنَا"(1كو6:11).

وفي تقدمنا للأسرار المقدسة، نرى ملامح هذا التقديس.

من ذلك غســل يد الكاهن قبل القداس، وهو يقول: "طَهِّرْنِي بِالزُّوفَا فَأَطْهُرَ. اغْسِلْنِي فَأَبْيَضَّ أَكْثَرَ مِنَ الثَّلْجِ"(مز51:7)، "أَغْسِلُ يَدَيَّ فِي النَّقَاوَةِ، فَأَطُوفُ بِمَذْبَحِكَ يَا رَبُّ"(مز26:6)، وكذلك الملابس البيضــاء التي لخدمة المذبح، ورمزها إلى الطهارة أو القداسة اللائقة بهذه الخدمة.

كذلك صــلاة القداس الإلهي الخاص بالتناول نســميه "قداس القديسين".

وذلك تمييزًا له عن الصــلوات الســابقة له التي يســمح للموعوظين بحضـورها ونسـميه "قداس الموعوظين". أما قداس القديسـين فنقول فيه بعد تقديس السـرائر: "القداسـات للقديسـين"، أي لهؤلاء القديسـين الذين لهم الحق في التناول من الأســرار المقدســة. لذلك قال صــموئيل النبي في العهد القديم: "تَقَدَّسُوا وَتَعَالَوْا مَعِي إِلَى الذَّبِيحَةِ"(1صم16:5).

فإن كان هذا في العهد القديم. فماذا نقول عن ذبيحة العهد الجديد المملوءة سرًّا!! لذلك نحن نصلي قبل التناول ونقول: "اجعلنا مستحقين كلنا يا سيدنا أن نتناول من قداستك طهارة لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا". ونقول أيضًا: "طهر نفوسنا وأجسادنا وأرواحنا وعيوننا وأفهامنا ونياتنا..".

ونكرر هذه الطلبات في صــلوات أخرى طالبين من الله أن يمنحنا من عنده الطهارة والقداسة.

فنقول في تحليل الســاعة الثالثة: "أرســل لنا نعمة روحك القدوس، وطَهِّرنا من دنس الجسـد والروح وانقلنا إلى سـيرة روحانية، لكي نسـعى

بالروح ولا نكمل شـــهوة الجســـد". وفي القطع نبتهل إلى الروح القدس قائلين: "هلمَّ تفضَّل وحِل فينا وطَهِّرنا من كل دنس أيها الصالح، وخلص نفوسنا".

وفي تحليل آخر كل ســاعة نطلب هذه القداســة قائلين: "قدِّس أرواحنا، طهِّر أجســـامنا، قوِّم أفكارنا، نقِّ نياتنا.. أحطنا بملائكتك القديســـين لكي نكون بمعسكرهم محفوظين ومُرشَدين..". وفي صلاة نصف الليل نقول: "انظري يا نفســـي لئلا تثقلي بالنوم فتلقي خارج الملكوت. بل اســـهري واصـــرخي قائلة: قدوس قدوس قدوس، أنت يا الله، من أجل والدة الإله ارحمنا...".

القداسة هي طلبة ربنا يسوع إلى الآب لأجلنا، وهي طلبة القديسين لأجلنا.

ففي مناجاة الابن للآب التي سجلت في (يو17) يقول سيدنا لله الآب عنا: "قَدِّسْهُمْ فِي حَقِّكَ. كَلاَمُكَ هُوَ حَقّ"(يو17:17).

ويقول القديس بولس الرسول: "وَإِلهُ السَّلاَمِ نَفْسُهُ يُقَدِّسُكُمْ بِالتَّمَامِ. وَلْتُحْفَظْ رُوحُكُمْ وَنَفْسُكُمْ وَجَسَدُكُمْ كَامِلَةً بِلاَ لَوْمٍ عِنْدَ مَجِيءِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ"(1تس5:23). ويقول القديس بطرس الرسول: "يَجِبُ أَنْ تَكُونُوا أَنْتُمْ فِي سِـــيرَةٍ مُقَدَّسَـــةٍ وَتَقْوَى؟ مُنْتَظِرِينَ وَطَالِبِينَ سُـــرْعَةَ مَجِيءِ يَوْمِ الرَّبِّ"(2بط3: 11، 12).

ولنعرف أننا جميعًا أعضاء في كنيسة جامعة مقدسة.

قد أســـلم الرب ذاته عنها "لِكَيْ يُقَدِّسَـــهَا، مُطَهِّرًا إِيَّاهَا بِغَسْـــلِ الْمَاءِ بِالْكَلِمَةِ". "لِكَيْ يُحْضِرَهَا لِنَفْسِهِ كَنِيسَةً مَجِيدَةً، لاَ دَنَسَ فِيهَا وَلاَ غَضْنَ... بَلْ تَكُونُ مُقَدَّسَةً وَبِلاَ عَيْبٍ"(أف5: 26، 27).

كل عضو في هذه الكنيسة يجب أن يكون مقدَّسًا.

ولهذا يجب أن نسـعى إلى هذه القداسـة.. "الْقَدَاسَـةَ الَّتِي بِدُونِهَا لَنْ يَرَى أَحَدٌ الرَّبَّ"(عب12:14).